حفــظ اللســـان

لقد خلق الله- تعالى- الإنسان في أحسن تقويم ، وصوَّره في أبدع صورة وأبهى مظهر ، وأودع فيه من جمال الخلقة ما يبهر العقول ، فكل عضو في جسم الإنسان آية من آيات الله (عز وجل) دالةٌ على كمال قدرته ، وعظمته وحكمته ، ويأتي اللسان على رأس هذه الأعضاء التي امتن الله (عز وجل) بها على الإنسان ، قال تعالى:{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ}[البلد:٨ ـ ٩]، فهو من أجلِّ النعم التي أنعم الله بها على الإنسان ، فبه المنطق والبيان ، وبه تتضح الحجة والبرهان ، قال تعالى: {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}[الرحمن: ١- ٤]، فاللسان جزء صغير لكنه في جُرمه أو صلاحه كبير ، إذ هو ترجمان القلوب والأفكار ، له في الخير مجال ، وله في الشر أيضا مجال.

فالقدرة على الكلام والتعبير عما يريده الإنسان نعمة ، لا يقدّر فضلها، ولايعرف مكانتها إلا من حُرِمها ، ومن ثم فعلَى الإنسان أن يحمد ربّه ، ويقدر هذه النعمة التي أسبغها الله عليه ، وأنْ يعطيها حقها ، قال تعالى: {وَإِن تَعُدُّوْا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}[سورة إبراهيم:٣٤].

وقد ورد ذكر اللسان في القرآن الكريم في أكثر من خمس وعشرين موضعًا ، وهو سلاح ذو حدين ، وكلّ حدّ منهما له مهمة في النفع والضر.

واللسان يعد الركيزة الأساسية في نجاة الإنسان أو هلاكه ، فالكلمة تبني أو تهدم، ودخول الإنسان في الإسلام بكلمة ، قال تعالى:{.. فَأَنزلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا...}[الفتح:٢٦]، وخروج الإنسان من الإسلام بكلمة ، قال تعالى:{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا...}[التوبة:٧٤]، وكذلك بناء الأسرة بكلمة ، وهدمها بكلمة ، وكم من كلمة كانت سببًا في إشعال فتنة!! وكم من كلمة كانت سببًا في لمِّ الشمل!! وما أجمل إشارة القرآن الكريم حينما ضرب مثلاً للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة ، حيث قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}[إبراهيم :٢٤ –٢٧].

خطورة اللسان:

ولقد بَيَّن الحق سبحانه وتعالى في القرآن الكريم خطورة اللسان على الإنسان ، حيث جاء الأمْر الإلهي بحفظ اللسان ، فقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[ق:١٦– ١٨].

وتشتد خطورة اللسان على جوارح الإنسان ، لأنها كلها مرتبطة به في الاستقامة والاعوجاج ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) –رَفَعَهُ – قَالَ: (إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ ، فَتَقُولُ : اتَّقِ اللَّهَ فِينَا ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا ، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا) (رواه الترمذي).

ولقد فطن الصالحون لخطورة اللسان وعظم الكلمة فضربوا أروع الأمثلة في حفظهم لألسنتهم ، وخوفهم من آفات اللسان ، فقد روى سيدنا عُمَر بْن الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) أنه اطَّلَعَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ (رضي الله عنه) وَهُوَ يَمُدُّ لِسَانَهُ ، فقَالَ: مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ؟ قَالَ : إِنَّ هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو ذَرَبَ اللِّسَانِ عَلَى حِدَّتِهِ) (رواه البيهقي).

وَعن سَعِيد بْن إِيَاسٍ الْجُرَيْرِيّ ، عَنْ رَجُلٍ قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) قَائِمًا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ آخِذًا بِثَمَرَةِ لِسَانِهِ وَهُوَ يَقُولُ: " وَيْحَكَ قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ " فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ مَا لِي أَرَاكَ آخِذًا بِثَمَرَةِ لِسَانِكَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ هُوَ عَلَى شَيْءٍ أَحْنَقَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِهِ (فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل).

وقال الإمام عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) : اللّسان قوام البدن ، فإذا استقام اللّسان استقامت الجوارح ، وإذا اضطرب اللّسان لم تقم له جارحة) (رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت).

وهذا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) يقول: (وما من شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان). وَقَالَ الْحَسَنُ (رضي الله عنه) : اللِّسَانُ أَمِيرُ الْبَدَنِ إِذَا جَنَى عَلَى الأَعْضَاءِ شَيْئًا جَنَتْ ، وَإِذَا عَفَّ عَفَّتْ . ومن ثمَّ يتضح أن صيانة اللسان دليل على كمال

الإيمان ، وحسن الإسلام ، وسبيل الوصول إلى الفردوس الأعلى ، قال تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}[المؤمنون:٣] إلى أن قال:{أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[المؤمنون:١٠-١١].

ولله درّ القائل:

احفَـظ لســـــانَكَ أيُّهـا الإنســـانُ *** لا يَلدغَنَّـكَ إنَّه ثعبـــــــانُ

كـم في المقـابِرِ من لديـــغِ لِســانِه *** كانت تهـــابُ نِزالَهُ الشُجعـانُ

والمقصود بحفظ اللسان: هو حفظه عن النطق بما لا يسوغ شرعًا مما لا حاجة للمتكلم به.

أهمية حفظ اللسان:

إن حفظ اللسان من أحب الأعمال إلى الله (عز وجل) كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه أبو جحيفة مرفوعًا : (أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ حِفْظُ اللِّسَانِ) (رواه البيهقي في الشعب).

وحفظ اللسان فرض عين على كل مسلم ومسلمة لأنه من الإيمان، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليَومِ الآخرِ، فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ).

ومن ثم يجب على العاقل أن يحفظ لسانه ويتخير ألفاظه حتى لا يقع في المهالك ؛ لأن اللسان يستر عقل الإنسان ، كما يستر الثوب الجسد فكثيرًا ما تسببت فلتات اللسان في هلاك الإنسان ، وكما قيل : كم كست فلتات الألسنة الحداد من ورائها ملابس الحداد.

والمقصود بالألسنة الحداد أي: الكلام البذئ الشديد والتطاول على الناس والتكلم في أعراضهم. وقد جاء ذكر هذا المعنى في القرآن الكريم، قال تعالى:{فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ}[الأحزاب :١٩] أي: آذوكم بكلام شديد ، والسلق: هو الأذى ببذاءة اللسان .

لذا فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشدِّد في أمر اللسان، والرقابة عليه ، وحفظه عن الانفلات بغير حق ، أو إلحاق الأذى بأي شخص ، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ

وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ، قَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ)، ثُمَّ قَالَ: (أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ! الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ)، قَالَ : ثُمَّ تَلاَ {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}[السجدة:١٦] حَتَّى بَلَغَ : {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[السجدة:١٧]، ثُمَّ قَالَ: (أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟) قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ)، ثُمَّ قَالَ: (أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ)، قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ : فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: (كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا). فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ، فَقَالَ: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) (رواه الترمذي)، وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَن لَكُمُ الْجَنَّةَ : اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) (صحيح ابن حبان).

آفات اللسان التي يجب الحذر منها:

١. **الكذب**: وهو مخالفةُ الخبرِ للواقع ، فهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وهو من الخصال الذميمة التي حذر منها الإسلام أشد تحذير، حتى عدَّها النبيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) خصلة من خصال النفاق ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) (رواه البخاري) ، فالكذب جماع كل شر، وأصل كل ذمٍّ ؛ لسوء عاقبته، وخبث نتائجه.

٢. **الغيبة**: وهي ذكر المسلم أخاه بسوءٍ في غيبته ، وقد ورد النهي عنها في القرآن الكريم؛ لأنها تؤدي إلى قطع روابط الألفة والمحبة بين الناس، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات:١٢] ، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ)، قِيلَ:

أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ، قَالَ: (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ) (رواه مسلم).

٣. **النميمة**: وهي نقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد بينهم ، الأمر الذي يؤدي إلى تقطيع الأواصر والعلاقة بين الناس ، وقد ورد النهي عنها في القرآن الكريم، قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ*هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}[القلم:١٠-١١]، والنَّمام من شرار خلق الله (عز وجل)، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيد أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: (الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ تَعَالَى) ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ) (رواه أحمد).

٤. **السب والقذف لأعراض الشرفاء** ، وهو أمر يهدد بنيان المجتمع، ويؤدي لانتشار الفوضى بين أبناء الوطن الواحد ، قال تعالى:{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[النور:٣]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ*يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور:٢٣- ٢٥]، فرمي الأبرياء بالباطل صناعة الجبناء ، وبضاعة لئام الطباع ، وتسلق مرضى النفوس ، مروجها مجرم في حق دينه ومجتمعه وأمته، مثير للاضطراب والفوضى في الأمة.

٥. **نشر الأخبار الكاذبة والشائعات الباطلة**، وهذا عمل لا يجيده إلا كل منافق لا يحب دينه ولا وطنه ولا بني جنسه.

٦. **قول الزور وشهادته** ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) (رواه البخاري).

٧. **السخرية والاستهزاء**: فقد يكون المُستهزَأُ به أكرم عند الله تعالى من المستهزِئ، فيكون قد ظلم نفسه بتحقير من وقَّره الله (تعالى) وكرَّمه، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[الحجرات:١١] ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ، تَنْبُو عَنْهُ أَعْيَنُ النَّاسِ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ) (رواه الحاكم في المستدرك).

فعلى المسلم العاقل أن يحفظ لسانه عن أذى الناس عامة والمسلمين خاصة ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) عن النَّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (المُسْلِمُ منْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ). ويتحقق ذلك من خلال أمرين :

الأول: البعد عن كل ماورد النهي عنه في القرآن والسنة ، من الغِيبة والنميمة ، والسخرية ، والكذب والبهتان ، والسبِّ والبذاءة ، وشهادة الزور ، وغير ذلك مما يتعلق بأذى اللسان ، قال تعالى: {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ}[الحجرات:١٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ: (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ) قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ) (رواه مسلم).

وكذلك نهى الاسلام عن النميمة، والتي يقصد بها السعي بين الناس بالكلام بقصد الوقيعة بينه قال تعالى:{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}[القلم:١٠-١١]، وعن حُذَيْفَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ) (متفق عَلَيْهِ).

وقد نهى نبينا (صلَّى الله عليه وسلَّم) عن السَّب والقذف وعن الكلام القبيح الذي يؤذي الناس ويؤلمهم ، لأن هذا يتعارض مع الإيمان بالله (عز وجل) ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلاَ اللَّعَّانِ، وَلاَ الفَاحِشِ ، وَلاَ البَذِيءِ) (رواه الترمذي).

حتى الريح والحيوان ، فقد نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) أيضًا عن سبابها ، فعن ابنِ عباس (رضي الله عنهما) : أن رجلاً لَعَنَ الريحَ وفي ـ رواية ـ : إنَّ رجلاً نازعَتْهُ الريحُ رداءَه على عهدِ النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) فلعَنَها، فقال النبيّ (صلى الله عليه وسلم) : (لا تَلْعَنْها فإنَّها مأمُورَةٌ، وإنه مَنْ لَعَنَ شيئًا ليسَ له بأهْلٍ رَجَعَتِ اللعنةُ عليه) (رواه أبو داود).

الثاني: الصمت وعدم الكلام إلا بما فيه الخير والنفع ، ولوأننا تأملنا آفات اللسان لعَلِمْنا أن الإنسان منَّا إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعند ذلك نعرف سرَّ قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (من صَمَت نَجا) (رواه الترمذي)، وقال تعالى: {لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[النساء :١١٤]. وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: (قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: (هَذَا) (رواه الترمذي).

فاللسان يجب أن يتخلى ويتحلى ، يتخلى عن الكلام البذئ، وكل مانهانا عنه الشرع الحنيف ، مما يرتكبه اللسان من جُرْمٍ ، ويتحقق ذلك عن طريق الصمت ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم) قَال: (...وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ) .

فإذا كان الإعراض عن الكلام المباح أفضل فمن باب أولى ترك الكلام الذي لا يفيد ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ) (رواه الترمذي)، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ) (رواه الطبراني).

بينما يكون تحلي اللسان بالذكر وبالكلام الطيب، فعن عبد الله بن بسر (رضي الله عنه) أنَّ رجلاً قَالَ: يَا رسولَ الله، إنَّ شَرَائِعَ الإسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَليَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبثُ بِهِ؟ قَالَ: (لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطباً مِنْ ذِكْرِ الله) (رواه الترمذي).

فكل من حفظ لسانه وصان نفسه عن الحرام فهو في طريق النجاة والفلاح، وهذا ما أخبرنا به الصادق المصدوق (صلى الله عليه وسلم)، فعن سهل بن سعد (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ) (متفق عَلَيْهِ). فحري بالمسلم أن يضبط لسانه ، ويسأل نفسه قبل أن يتحدث عن جدوى الحديث وفائدته ، فإن كان خيراً تكلم ، وإلا سكت، والسكوت في هذه الحالة عبادة يؤجر عليها.